فصل من كتاب سيصدر قريبا عن «بغداد بين الجد والهزل»

«انطباعات عائد من بغداد»: «غودو» وغلة الأرض أصلح من اللاعبين الجدد!

فيصل عبد الله*

■ لا توجد شحة شهادات في صفحات اليوم العراقي. إنما أصبحت أخبار ذلك البلد تنافس تقلبات البورصة وأسواق المال وأحوال الطقس. كثرة تكرار اسم العراق، على مدى العقد ونيف الماضية، تسربلت إلى كل وسائل الإعلام المرئية منها والمقروءة في أرجاء المعمورة. ومعها صورته المقرونة بحدث محدد. حرب الخليج الأولى والثانية، محور الشر، أسلحة الدمار الشامل، قنبلة لندن خلال 45 دقيقة، جلسات مجلس الأمن، عملية «الصدمة والترويع»، غزو أمريكي ـ بريطاني، سقوط الصنم في ساحة الفردوس، سرقة وسطو بدءاً بالمتحف العراقي والمواقع الأثرية وما زال مستمراً، احتلال مشرعن بقوة قرارات الأمم المتحدة. بول بريمر، تسلم السيادة، الانتخابات التشريعية وإقرار الدستور. انتخابات الجمعية الوطنية، نسبة المشاركة، زعماء ورجال عشائر، تفجيرات تحصد العشرات، أبو مصعب الزرقاوي. شيعة، سنة، أكراد، تركمان مسيحيون وشبك ويزيدون....كل له قصته. ومع كل قصة أجندة معلنة وأخرى مخفية. اختلط الحابل بالنابل وضاع العراق في برزخ عصيبات تذكرنا بحروب الهوتو والتوتسي والجنجويد وجيش الرب. بغداد العاصمة ومركز القرار، وأطراف واتتها الفرصة للانقضاض عليها.

ـ وفرة. لكن البداية عصية. كيف تقرأ المشهد. القلب يعتصر. وهذا بالضبط ما أحالني إلى استرجاع مقاطع من شريط «إنس بغداد» لمخرجه سمير، عراقي الأصل سويسري الجنسية، وأنا أودع تلك المدينة عبر مطارها الرئيسي. لحظتها استوقفني سؤال محوري طرحه الشريط عن الأوطان والذاكرة، وأنا أتأمل صالات ذلك المطار الخالية من كل شيء بما فيها صورة رئيس الجمهورية، كما هي العادة في مطارات العالم الثالث. السؤال العصي يقول: كيف يمكن للبلد الجديد أن يحيل الفرد، بوعي أو بسواه، إلى عدو لتاريخه وذاكرته الشخصيتين؟ بالمقابل، فتحت لي مشاهدات تلك الزيارة بوابات من الأسئلة لم أستطع ان أوصدها، بل أشرك القارئ في عالمها.

ـ هي بغداد إذن. أو ما تبقى منها. وها أنا أعود إليها مرة ثانية بعد حين. ففي زيارتي الأولى لها قبل أكثر من عام ونصف، بدت لي المدينة أشبه بذكرى بعيدة. نثاراً من بقايا ذاكرة عشت فيها وعليها سنوات طويلة. وربما أضفيت عليها هالة أقرب إلى القدسية في يوم من الأيام. إن من الصعب تخيل لهفة وحنين المنفيين في دروب العودة إلى أوطانهم دون أن تكون الخيبة رفيقاً لهم. إذ سكن فينا المنفي مثلما سكنا فيه. ومع هذا، كان الأمل والتفاؤل قطاف وغلة تلك الزيارة القصيرة. كانت بغداد، وقتها، تستعيد عافية إيقاع يومي حذر وهش، بعد طرد سلطة الخوف والسطو والهمجية. حينها كنت مهجوساً بقطع خيوط الوهم والبعاد عن الأهل والأماكن التي عشت فيها أول أحلامي وجاست خطاي دروبها المحرمة. لقد كان ملاك الغفلة حارسي وشفيعي هناك، مثلما كان في بلدان ودعت فيها بعضاً من وريقات العمر. فان تتاح لك زيارة وطنك الأول بعد ردح من الزمن فتلك دعوة لا ترد. لكنك بالمقابل، سواء بقصد أو سواه، تتحول إلى منقب أركيولوجي من طراز خاص. فمن السهل ترك مدن الصبا والذاكرة وراءنا، ولكن من الصعب العثور عليها.

ـ ما كان بادياً، آنذاك، إرث دكتاتورية ثقيل خلفته على الأرض والعباد بفعل حروبها العبثية والطائشة، الداخلية منها والخارجية. وكان آخرها غزو دولة الكويت في عام 1990. وما استتبعها وترتب عليها من فرض نظام عقوبات اقتصادية وسياسية وتقطيع أوصال العراق إلى ثلاث مناطق، بشكل لم يسبق للأمم المتحدة في تاريخها العتيد أن طبقته على دولة ذات سيادة بهذه الهمة. وبين كماشة دكتاتور صفيق، وسياسة «تدليس» مارستها المنظمة الدولية وحملة الفيتو، يصعب تصور حجم الحيف الذي حاق بالعراقيين في سنوات الحصار القاسية. كان الثمن مكلفاً، وسرقة علنية، فضحتها «كوبونات النفط» التي دفعها النظام لمرتزقة عرب وأجانب من أموال الشعب العراقي ومستقبل أجياله القادمة. وبالمقابل، وبالتوازي، لاحت تلك الفضيحة والسرقة الأمم المتحدة نفسها، خصوصاً القائمين على برنامج «النفط مقابل الغذاء».

مأزق الاحتلال

ـ اليوم، اختلف اللاعبون السياسيون ومعهم، ربما للأبد، صورة العراق. فالمأزق الذي جاء به الاحتلال، لنفسه ومن معه، قاد إلى مأزق خطيرة سترتد على مستقبل العراق بعواقب وخيمة. مفاعيل تلك المأزق لا تحتاج إلى كثير من الحصافة لرصدها، إنما هي مبذولة للجميع مثلها مثل يوميات العذاب اليومي. زائر بغداد في وضعها الراهن سيصاب، من دون شك، بمظاهر غريبة يقف على رأسها الخوف والرهبة المطبقان على رقاب الجميع. فالانفلات الأمني الضارب إطنابه على أديمها، ليس كشفاً صحفياً لزائر هذه المدينة، إذ تكفلت وكالات الأنباء ووسائل الإعلام المختلفة بنقله وهو بضاعتها إلى العالم. ما هو واضح وجلي في هذا السياق، ضمور دور الدولة في حفظ أمن الناس وأمانهم، مما مهد لانتشار مليشيات وعصابات ومن مختلف الألوان في حارات بغداد الشعبية.

قلب شجاع

ـ يكفي السير ذهاباً وإياباً، في شوارع الكرادة أو مدينة الشعب أو الثورة أو في قلب العاصمة وشريانها شارع الرشيد والحارات المتاخمة له مثل المربعة وسيد سلطان علي والسبع أبكار وعقد الجام، إن كان لك «قلب شجاع» وزاهد في حياتك. وأترك عند هذا الحد لخيال القارئ النهاية التي يقترحها. أما زرع الخوف، فتتولاه سلسلة أخطبوطية طويلة وغير منظورة. تبدأ بوشاية تباع في سوق رائجة عبر شخص يدعى «العلاس»، الذي يلعب دور المخبر الأول ويكون صبياً أو شاباً في مقتبل العمر، لمن هو أكبر منه تجربة في هذه المهنة الجرمية مقابل مبلغ لا يتجاوز الدولار الأمريكي الواحد. بعدها تنتقل أخبار الزائر أو الغريب مهما كانت جنسيته سريعاً إلى حلقات كل حسب وظيفتها وتسميتها، وبالطبع تسعيرتها، إلى ان ينتهي اسم عاثر الحظ ومواصفاته عند عصابة تتنافس مع مثيلاتها في مهنة الاختطاف الرابحة.

ـ أكاد أجزم في هذا السياق، أن بعضاً من أهل العقد والحل في العراق الجديد يعرفون أكثر من غيرهم عن حركية هذه العصابات. في نظر هؤلاء، أي الدولة، هم «أشباح» مثلهم مثل «الزرقاوي» الذي دوخ بـ«عبقريته»، وحركته الزئبقية رغم عرجه، عدة وعتاد ووكالات متخصصة ذات احتراف الكتروني لأقوى قوة عسكرية على وجه البسيطة، أقصد الأميركان. وعند هذه النقطة، يمكن ملاحظة أن اللاعب الأمريكي ومعه الحكومة العراقية المؤقتة فقدا روح المبادرة، واكتفيا بالرد العسكري هنا وهناك وكأنهم فرق إطفاء حرائق.

تكنوقراط جدد

ـ يلحظ زائر بغداد، أيضاً، غياب الكفاءة والمهنية وتفشي اللاقرار في أجهزة الدولة واختراقه جسد مؤسساتها. كل حسب ولائه ومحسوبيته، وبشكل تفوح منه سياسة «تبعيث» جديدة ولكن بصبغة محاصصة ثالوثها: طائفي، إثني، عشائري. فباسم تعبئة الغلبة وهي رمز البقاء في معركة اليوم، مضافاً إليها الإهانة، الحرمان، الاستبعاد، القتل الجماعي والابتعاد عن مراكز القرار، جرت حروب المواقع الوظيفية. وما دام الجميع ضحايا جرى تجاوز مبدأ الكفاءة والأهلية والخبرة مقابل الولاء الضيق والمحسوبية والمنسوبية. لقد تحولت دوائر الدولة العراقية بضربة هؤلاء السحرة إلى مرتع ومقاه، «جاي خانات» حسب اللهجة العراقية، و«ديوانيات» لفض نزاعات عشائرية وتسهيل صفقات عقود بما فيها الأعراس وتزجية الوقت والتلصص على غير المحجبات من الموظفات والهرب من حر بغداد اللهاب أو تقلبات الطقس.

ـ الخاسر الأكبر من هذا التحول، هم الفئات العليا والوسطية من المدراء العامين ومن مختلف الاختصاصات، الذين تمرسوا وخبروا الحياة الوظيفية ولو بحدود ومستوى بلد عالم ثالثي، أي تلك النخب الصامتة، الواعية، والمثقفة ثقافة «مدنية» والكفيلة باتخاذ القرار الصائب وتقرير السياسة العامة والعقلانية للبلد. وحل بدلاً منهم «تكنوقراط» من الشباب تقرأ كفاءاتهم وأهليتهم من سيمائهم. منتفخون، خليط من البدلات الغريبة الألوان على أجسامهم مع لحى خفيفة، من دون نسيان خاتم فضي مرصع بحجر ملون على خنصر الإصبع الأيسر. كل ما في الأمر ان هؤلاء سينتجون نماذج من المريدين على شاكلة صورهم.

ـ إن مستقبل العراق، كما تبدى لي، مرهون لأجل غير محدد بين طائفية مقيتة عمادها المحاصصة، ومدنية عقلانية رحبة تنقذ البلد من إرث خرابه وتقلل خساراته التي يدفع ثمنها غالبا الأبرياء يومياً. فالتعبئة الاجتماعية الفعلية لبناء العراق، لا تتم على أساس أولوية الطائفة أو المذهب أو الإثنية، ولا على حساب المواطنة والكفاءة والأهلية. بل أكثر من هذا، فان وقائع العراق تكشف لزائر البلد والمتابع لشؤونه، غربة وحيرة السياسي العراقي الحديث العهد في تسيير مقدرات البلاد والعباد ناقلاً عداوه إلى المواطن وترتب عليها من فرض نظام عقوبات المحاصر بالأزمات. والحيرة والغربة في يوم العراقي، حيرات وغربات، دفعت بمن يمتلك الحس المرهف إلى كآبة مزمنة. كفى التباكي على ماض درس، وجرائم المقابر الجماعية، وحملات الأنفال وضرب حلبجة بالأسلحة الكيمياوية المحرمة دولياً، ليل نهار. صحيح إنها جرائم قذرة اقترفها نظام بهيمي، لكنها لا تضع لوحدها العراق على سكة آفاق القرن الواحد والعشرين واستحقاقاته، بل تحيل الجميع إلى ندابين وضاربي صدور.

الحواسم

ـ انعدام المقاييس وفرز المقبول عن غير المقبول من قيم «مدنية» وأخرى «عشائرية» مهد إلى تفشي ظاهرة الفساد الإداري. أستطيع القول ومن دون وجل، إن جميع وزارات الدولة العراقية تنخرها آفة الفساد الإداري والمالي، وهي متهمة من أهل العراق ابتداء من رؤوسها الكبار إلى موظفي الاستعلامات، و إلى مدى قد يطول حتى يثبت العكس، إذ لا يتم تعيين حارس أو موظف أو توقيع معاملة بسيطة من دون وساطة وتزكية سياسية أو دينية أو عشائرية أو رشوة مالية، ناهيك عن الصفقات والعقود الوهمية منها، والفعلية الخالية من وثائق الجودة المفترضة، و التي تقدر قيمها بملايين الدولارات الأمريكية. لقد نشأت منذ سقوط الصنم، وبالتحديد في التاسع من نيسان/ أبريل 2003، فئة «القطط السمان» و«محدثي النعمة»، ويتحرك في ظلالهم والى جانبهم وسطاء وهميون لا جنسية لهم بشكل مخيف. الأريحية العراقية رصدت هذه الظاهرة، وخلعت عليها مسحة تهكم تستحضر مفردات الصنم، إنهم «الحواسم الجدد». لقد تفنن «الحواسم الجدد» في سرقة القطع الكبيرة من كعكة العراق. فالمبالغ المرصودة، وما منح واستلم منها لإعادة بناء العراق، تبخر بفعل عصا السحرة الجدد، وذهب إلى جيوب وبنوك خارجية لا يعرف سرها سوى «القافز»، كما يقال في الجزائر. والأنكى أن السياسي الجديد راح يستدين ويعقد صفقات مع بنوك ودول باسم شعب العراق ومؤسساته.

مشهدان من بغداد

تسليع مآسي الناس وحرمانهم صار مهنة من أجل الاستجداء، فيما غدا المواطن المغلوب على أمره كاليتيم على مائدة اللئام. صحيح، إن مجتمعاً مشطوراً على نفسه، واختلط عليه سلم اولوياته، وعاش في كنف ظلام البعث حيث ألغى التنوع في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وينهل من قيم وتقاليد زراعية وشبه بدوية.... يصبح السلب والنهب من السمات والمواصفات الملازمة لأي انعطاف سياسي حاد في حياته. إلا أن الأصح، أن لا يبرر ولا يغتفر ذلك، لمن حمل لواء المعارضة في فترة من الزمن وشعارات الفضيلة والقضاء على الفساد وتبديد أموال الشعب العراقي...

لوثة اللاشعور

ـ ما يعيشه البغداديون من مفردات الانتحار اليومي، من قطع لساعات الكهرباء في حدود العشرين ساعة وفي حرارة صيف لهاب تصل في الظل إلى 56 مئوية، وإطلالة فصل الشتاء، كفيلة بوضع خمسة ملايين إنسان من أصل سبعة في مصحات عقلية، وتحت علاج نفسي يصعب حتى على «لاكان» الفرنسي و «علي الوردي» العراقي إيجاد وصفة طبية تقرأ لوثة «اللاشعور». بالمقابل، غدت شوارع بغداد الشعبية، فضاء وأسواراً، مظللة بشبكات الكهرباء العنكبوتية بشكل عشوائي يبعث على القرف. يكفي العابر العادي، أو شاحنة حرمان، فوقع عقداً نفطياً متهاوياً يجعل العراق وصناعاته النفطية رهينة بيد «الجارة إيران»، وبالمقابل قنن استعماله على أساس الأرقام الفردية والزوجية للمركبات والسيارات.

انهيار الخدمات

ـ الانهيار التام في الخدمات شمل بعدواه الطب. كان يعد في يوم من الأيام الأكثر جدية وحداثة في عالم نام. يكفي زيارة واحدة مع فرد من أفراد العائلة أو قريب أو صديق لتتأكد بنفسك. صحيح أن العيادات الطبية منتشرة بشكل ينافس باعة «المشاوي» على قارعة الطريق، لكنك ما ان تدخل عيادة أحدهم حتى تصاب بالغثيان. قناني مياه بلاستكية مرمية في ممرات العيادة، كراس مهترئة، روائح منبعثة من دورات المياه، صراخ وعرق يتصبب من الجميع، الدفع مسبق. أما ملاح الطبيب، فأترك للقارئ تصوره، كل ما في الأمر انه أستأجر العيادة من طبيب قديم وممارس هرب خارج البلد حفاظاً على حياته وحياة أسرته. كيف لا، وقد تمترس الوزراء ووكلاؤهم في مكاتب مبردة ووثيرة، واقتصرت زياراتهم التفقدية إلى خارج البلاد دون أن يجرؤ أي منهم النزول إلى الشارع.

ـ سقوط النظام أفضى إلى تأسيس عشرات الجمعيات والمنظمات غير الحكومية التي تعنى بالشأن المدني، أطلق عليها «منظمات المجتمع المدني»، وهي ظاهرة ايجابية من دون شك. لكنها تواجه مشكلة هوية، بين كونها منظمات مستقلة عن السياسة والأحزاب، وبين تبعيتها الواضحة للصراعات السياسية والأحزاب المتنافسة. يصح هذا الكلام على بعض المنظمات التابعة لـ«الأحزاب الإسلامية». صحيح أن هذه المنظمات والجمعيات تعاني من مشكلة التمويل من جهات حكومية وغير حكومية، وتحتاج إلى دورات لتدريب كوادرها داخل وخارج العراق، إلا أنها أصبحت مصدر رزق واختصرت بشخص رئيسها.

ارث الصنم

ـ تركة نظام الصنم ثقيلة. ألم تأبَ، كما نقلتها عدسات التلفزة إلى ملايين المشاهدين، ساقا ذلك الصنم الترنح وسط هتاف ومطارق وحبال من كان في «ساحة الفردوس» حينها. فالفساد واللامسؤولية والرشوة و«الحواسم»، هي مفردات عاش تفاصيلها العراقيون. ومن تركته، أيضاً، «الحملة الإيمانية» التي أطلقها عقب هزيمته في حرب الخليج الثانية. اليوم، انبرى وتنادى رهط من الخطباء ورجال دين بتطبيقها، وبطريقة تثير الريبة. بدأت بالصورة، فقد استبدلت صور «القائد الضرورة» وهو يراقب حركات الناس وسكناتهم أينما حلوا، في البيت كما في الشارع والدائرة والباص والملهى الليلي والمطعم. أما اليوم فصور رجال الدين تطالعك في كل مكان، وتنغص عليك حتى لقمة الغداء في مطعم مهما كانت درجته. في حين جمهورية الصدر الإسلامية ليست ببعيدة، فقد فازت بها بامتياز مدينة الثورة. وهذه المدينة المدقعة بفعل البطالة والحرمان وعقود طويلة من الإهمال، وذات الكثافة السكانية الغزيرة، والمرتبطة بشبكة علاقات عشائرية وقبلية معقدة ومؤثرة، وجدت في صورة وخطاب رجل الدين الشاب مقتدى الصدر صوتها وحلها. الإحصائيات الأولية لنسبة الولادات الجديدة تشير إلى ما يصل من 70 بالمئة منهم حمل اسم مقتدى. فيما تولى وكيله في تلك المدينة تطبيق قوانينه الخاصة، وعبر محاكم تصدر أحكاماً بالجلد والإعدام وفض نزاعات عشائرية وغلق محلات، خصوصاً صالونات الحلاقة لمخالفتها قواعد الآداب. ويتولى تنفيذ تلك القرارات «جيش المهدي» مرة، و«منظمة بدر» مرة أخرى عندما تدخل على الخط. المفارقة أن بعضاً من أعضاء تلك المنظمتين هم من بقايا زمر بعثية، يطلق عليهم «التوابون» لانهم عرفوا طريق الهداية، ولصوص ورعاع يتمنطقون بقيم الفضيلة ويسلكون سلوك القردة.

وجه بغداد الآخر

ـ ومع هذا، فان لبغداد وجهاً آخر، وجهاً يكتفي بوظيفة المشاهدة إزاء الخراب والفوضى العارمتين. يجد الزائر، أو «البغدادي السابق»، لقى تفاصيله مبثوثة هنا وهناك. وعلى شكل أبنية ودور سكن ونواد خاصة تحاكي في تصميمها العالمية وهدأة المدينة في لحظات صفو نادرة عبر تاريخها. بناية «المسبح الأولمبي المغلق» المجاورة لملعب الشعب والتي صممها المعماري الفرنسي الفذ «لوكاربوزيه»، وبيوت تفنن المعماري العراقي في تجريبية تصميمها. عمارة الدفتردار، خان مرجان، جامع الخلفاء، الحضرة الكيلانية، جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. نادي العلوية المطل على ساحة الفردوس، والذي كتبت فيه فصولاً مهمة من تاريخ العراق إبان الاحتلال البريطاني. وكان من رواده «أم ناجي» أو «الخاتون»، كما يسميها العراقيون، «غرترود بيل» التي لعبت الدور المهم في صياغته، عاشت وتوفيت ودفنت في المقبرة البريطانية في منطقة الوزيرية، ناهيك عن رؤساء الوزارات والوزراء وكبار رجال الدولة ممن كان يتردد عليه... عري المدينة وخرابها كشف وجه شارع الجمهورية، إذ تكتشف ابتداء من «ساحة الخلاني» وحتى «ساحة باب المعظم» كماً هائلاً من دور العبادة الخاصة بالمسيحيين وبمختلف مذاهبهم، فنجد على جانبيه ما يقارب العشر كنائس لم تكن منظورة من قبل، في حين، تلعب نواديهم وحدائقهم دور المتنفس الوحيد المبذول للمثقفين والموظفين وعوائلهم...

ـ فواكه وخضروات العراق ما زالت بخير. وتقف على رأسها التمور، والتي تبز وتباهي بمذاقها وأنواعها الهائلة كل مثيلاتها في العالم، إذ يتجاور البرحي والخستاوي والخضراوي والعوادي وأصابع العروس والزهدي.. في سلال يفاخر فيها أصحاب البسطات دون غضاضة أو خوف من منافسة. والى جنبهم باعة الكروم والرمان والبرتقال... إذ لم يبق للعراقي اليوم سوى غلة الأرض، وصمت قدري بانتظار «غودو» محلي، وما عداهما كل شيء متوقف حتى إشعار آخر.

* كاتب من العراق يقيم في لندن
وهذا فصل من كتاب سيصدر قريباً عن «بغداد بين الجد والهزل»

انهيار تام في الخدمات وبدل صور «القائد الضرورة» حلت صور رجال الدين

حالة تذمر ضد اشتراك فناني دنماركيين في ترينالي مصر الدولي للغرافيكن

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

تعرض الدكتور احمد نور رئيس قطاع الفنون التشكيلية إلى انتقادات واسعة أثناء انعقاد المؤتمر الصحافي لترينالي مصر الدولي الـ 5 لفن الغرافيك الذي يفتتح السبت بقاعات قصر الفنون بالجزيرة ومتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية بمجرد أن أعلن عن مشاركة اثنين من الفنانين الدنماركيين في فعاليات الترينالي فارتفعت أصوات المعارضين لمشاركة الدنمارك بسبب إساءة أحد رسوم الكاريكاتير للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.. وطالب النقاد والصحافيون وبعض الفنانين التشكيليين بعدم عرض أعمال الفنانين من الترينالي وإعادتها إلى كوبنهاغن..

برر نوار اشتراك الفنانين كريستين تيرب وليا بورزيك في فعاليات هذه الدورة بحجة أن أعمالهما وصلت إلى القاهرة قبل ظهور الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد بثلاثة أشهر.. وأن إدارة الترينالي لا تحرم حرية التعبير وأن قبول الإدارة لهذه الأعمال تم خاصة أنه لا يوجد فيها ما يمس العقائد والأديان! إضافة إلى أنه وجهت لهما دعوات خاصة وليست عن طريق الحكومة الدنماركية المتمثلة في وزارة الثقافة وأضاف الدكتور أحمد نور: نحن ضد سياسات الدول ولسنا ضد الأفراد مشيرا إلى المواقف السابقة للترينالية والبينالية التي أقيمت في مصر ورفضت اشتراك إسرائيل في فعالياتها بسبب سياساتها العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني ومذابح قانا وصبرا وشاتيلا في لبنان إضافة إلى وقف التعامل مع الدول التي ساندت وشاركت في غزو العراق ومنها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأستراليا.

وقال نوار ساخرا: لن تعود أعمال الفنانين الدنماركيين إلى كوبنهاغن ولو فازت إحدى هذه الأعمال في الترينالي الحالي فسوف أعطي الفنان الفائز قيمتها.. وأشار قائلا: نحن نتعامل في مساحة هذا الموضوع من باب الإبداع وليس لي مواقف سياسية أخرى.

وقال نوار: مسألة اشتراك إسرائيل في أي أنشطة عالمية او محلية في مصر محسومة وهي قاعدة أساسية حتى يتم حل القضية الفلسطينية بشكل نهائي.

وحول اشتراك فنانين من الدول التي غزت العراق قال: نحن لا نتعامل مع الولايات المتحدة أو بريطانيا أو أستراليا كدول.. ولكن نتعامل فقط مع أشخاص أو فنانين وبالتالي من الممكن إرسال دعوات خاصة لفنانين والتعامل معهم بعيدا عن الجهات الحكومية. وسأل أحد الحضور كيف توافق وزارة الثقافة المتمثلة في قطاع الفنون التشكيلية والذي ينظم ترينالي مصر الدولي للغرافيك في توجيه الدعوة لفنانين دانماركيين أساءت بلدهما للنبي وقام المجتمع المدني بمقاطعة بضائعهم حتى تعتذر الحكومة هناك.. أجاب:

نحن لا نتعامل سياسيا مع الموضوع لأن السياسة لها أصحابها وأربابها.. وإنما نتعامل فنيا طالما أنه لا يوجد ما يمس حرية العقيدة والأديان.

واختتم المؤتمر الصحافي أعماله بمطالبة النقاد والصحافيين والفنانين بالمقاطعة النهائية مع فناني الدنامرك وطرد أعمالهما من القاهرة الأمر الذي لم يجد ترحيبا من القائمين على ترينالي مصر الدولي للغرافيك.

وفي سؤال أخير حول استبعاد كثير من الأعمال المهمة لفنان كبار عرب وأجانب من الدخول للمسابقة الرسمية أجاب نوار: تم استبعاد 43 عملا فنيا طبقا لشروط اللائحة وخروج هذه الأعمال عن فلسفة الموضوع المطروح في هذه الدورة وهو الانتماء والخصوصية.

الجدير بالذكر أن عدد الدول المشاركة في الترينالي 74 دولة بعدد أعمال 1392 يمثلهم 752 فنانا وفنانة.. وتبلغ قيمة الجوائز 145 ألف جنيه مصري من بينها الجائزة الكبرى وقيمتها 30 ألف جنيه بالإضافة إلى رمز الترينالي الذهبي وجوائز الترينالي وعددها 10 جوائز، قيمة كل منها ألف جنيه إضافة إلى ميدالية الترينالي الذهبية وجوائز شرفية وعددها 5 جوائز بالإضافة إلى ميدالية الترينالي الفضية وشهادات التقدير.

رحيل الشاعر الفلسطيني حكمت العتيلي:

ظلت نوارس شعره محلقة رغم غربته الطويلة

نظام المهداوي*

■ انتقل فجر الخميس الموافق 23 شباط (فبراير) الى رحمته تعالى، في لوس أنجيليس بجنوب كاليفورنيا، الشاعر الفلسطيني الكبير الذي حمل هموم أمته العربية عامة وشعبه الفلسطيني خاصة، حتى آخر لحظة في حياته، حكمت العتيلي، عن عمر يناهز السابعة والستين عاما.

ولد الشاعر العتيلي في 1938/8/8 في بلدة عتيل قضاء كولكرم، حيث انتقل بعد أن أتم دراسته الابتدائية هناك الى طولكرم، لينهي دراسته الثانوية وينتقل من طولكرم الى دار المعلمين، في عمان، لتؤهله ليصبح مدرسا للغة العربية. حصل لدى تخرجه على مهنة معلم في مدينة معان الأردنية، لم يطل به المقام هناك، حيث عين مدرسا للعربية في أرامكو بالسعودية، وهناك عين بعد زمن ليس طويلا محررا لمجلة قافلة الزيت التي تصدر بالعربية، حيث أمضى ما مجموعه خمسة عشر عاما. انتقل في مطلع عام 1976 مع عائلته الى سان دييغو في جنوب كاليفورنيا، ليمضي هناك خمسة عشر عاما أخرى من الغربة. وفي بداية التسعينيات انتقل الى منطقة لوس أنجيليس، حيث التقى بمجموعة من الشعراء والكتاب والصحافيين، وأسس معهم ما دعوه المنتدى الثقافي العربي الأمريكي، الذي ما زال قائما حتى الآن، وانضم الشاعر إلى تجمع الكتاب والأدباء الفلسطينيين في بداية تأسيسه وساهم بتأسيس لقاء الأربعاء في منطقة لوس انجيليس الذي ظل يساهم فيه سبع سنوات طويلة زاخرة بالأدب والشعر والثقافة.

اقترن الشاعر العتيلي بالفنانة التشكيلية أمل عتيلي وانجب منها (جاد، عادل، سري)، وكانت زوجته أمل خير معين له في رحلة شقائه الطويلة والتي ظلت ملازمة له منذ كان شاباً يافعاً إلى ان انتهى به المقام على فراش المرض.

شكل صدور مجلة «الأفق الجديد» المقدسية، عام 1961، جامعة أدبية ينهل من رحابها عطشى الأدب، في الأردن وخارجه، على أيدي الرواد الأوائل، كما على أيدي جيل جديد من الأدباء والشعراء. ولعل من أبرز الأسماء التي وقف أمامها محبو الشعر، طويلاً وبكثير من الإعجاب، حينذاك، كان اسم الشاعر حكمت العتيلي، الذي قلما خلا عدد من مجلة الأفق الجديد من قصيدة جديدة له، والذي امتد اسمه الى خارج الأردن، واستحلت قصائده صفحات منيرة من كبريات المجلات الأدبية المتخصصة كالآداب والأديب.

صدر للشاعر حكمت العتيلي ديوان وحيد في منتصف الستينيات حمل اسم (يا بحر) عن دار الآداب في بيروت. وبسبب سنوات غربته القاسية، لم يتسن للشاعر التواصل مع قرائه ومحبيه على الرغم من أن لديه ما يقرب من ستة دواوين شعر جاهزة للنشر، نشر بعض قصائدها في مجلات ثقافية متخصصة مثل (إبداع)، (جسور)، (أخبار الأدب) كما تواصل بكتاباته النثرية والشعرية في صحف مهجرية كان أهمها صحيفة (الوطن) الأسبوعية التي تصدر في لوس انجيليس.

حكمت العتيلي (القدس العربي)

منذ أكثر من سنتين بدأت صحته بالتدهور التدريجي، نتيجة مرض السكر، الذي استطاع أن يدمر طاقة كليتيه، بعد ذلك بدأ كل شيء لديه بالانهيار، ومنذ عام وهو يقيم اقامة شبه دائمة في المستشفى، الذي دخله قبل ستة أشهر تقريبا ولم يخرج منه الا للنهاية الأزلية. كان ـ رحمه الله ـ في غيبوبة دائمة منذ أكثر من شهر ونصف، الى أن سكن نبضه، لكن ظلت نوارس شعره تحلق في سماء بلدته عتيل وغربته الطويلة.

* كاتب واعلامي من فلسطين يقيم في امريكا

اصدارات جديدة

«الدستور في الوطن العربي: عوامل الثبات وأسس التغيير»

لندن ـ «القدس العربي»:

صدر حديثاً عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «الدستور في الوطن العربي: عوامل الثبات وأسس التغيير» ضمن سلسلة كتب المستقبل العربي (47).

ترصدُ الدراسات التي يضمّها هذا الكتاب بعضاً من المراحل الأساسيّة في التجارب الدستوريّة في الوطن العربيّ، وتدخل في تفاصيل جذورها الفكريّة والسياسيّة والثقافيّة والدينيّة، في محاولة جادّة لتحديد خصائص الواقع الدستوريّ الراهن، واستقصاء أسباب القصور، واستكشاف قدرات التغيير والتطوير.

والميزة المركزيّة في هذه الدراسات تكمن في أنّها تتطلّع إلى المساهمة في تعميق البحث في مفهوم الدولة، والدولة الحديثة، وحاجة العرب إلى الإصلاح، وكيفيّة اطلاق آليّات التقدّم من دون ضرب الهويّة القوميّة. ومن دون الوقوع في شرك الاستلاب أمام التجارب الغربيّة في هذا الميدان، وإن كانت تلك التجارب أقدم، وأوسع، وأغنى.

ولعلّ الأهميّة المنهجيّة التي تستوجب الإشارة إليها هنا هي أنّ هذه الدراسات تتنوّع من حيث طرائق البحث، لكنّها تتوحّد في التركيز على الهدف، أي التجارب الدستوريّة في الوطن العربيّ، فتقدّم بذلك مقاربات مختلفة لكنّها في صيرورة تكامليّة، تجمع ما بين التنوّع والوحدة.

ويبقى أنّ إصدار هذا الكتاب، في هذا التوقيت، هو بحدّ ذاته هدفٌ مقصود نظراً إلى ما يعيشه العرب راهناً من تحدّيات كثيرة تعزّز الحاجة إلى إغناء النقاش في كلّ ما يتعلّق بالوحدة والتقدّم والسيادة والإصلاح والحريّة انطلاقاً من حاجات المجتمع العربي، لا من محاولات فرض آليّات إصلاحيّة، وخارجيّة على وجه الخصوص، ولا تخدمُ بالضرورة المستقبل العربيّ.

يقع الكتاب في 172 صفحة.
وثمنه 6 دولارات أو ما يعادلها.